الأهرام

المصدر: التوعية الاسلامية
التاريخ: ١٣ ذو الحجة ١٤٠٣هـ

الأقليات الإسلامية:

في الاتحاد السوفيتي ..

بقلم الدكتور: على المنتصر الكتانى
المدير العام للمؤسسة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا والتنمية - جدة

الحلقة العاشرة

مقدمة

وصل الإسلام إلى بلاد ما وراء النهر التي هي الآن تحت الاستعمار السوفياتي منذ القرن الأول الهجرى . وأصبحت تلك المنطقة من أهم مناطق الحضارة الإسلامية في العالم ، ومن أهم مناطق الانتشار الإسلامي التي شملت في القرن الثامن الهجرى جميع المناطق التي تُكوِّن اليوم الاتحاد السوفياتي وجعلتها تحت لواء الإسلام . وكانت الشعوب الناشرة لدين الإسلام لمدة ألف سنة في هذه المناطق هي الشعوب التركية التي اعتنقت الإسلام الواحدة تلو الأخرى حتى أصبحت جميعها تدين به .

□ □ □ □

ومن أهم الدول الإسلامية التى أسست في القرون الوسطى دولة قازان على ضفاف نهر إتل الذي يسميه الروس اليوم نهر الفولكا . ولقد نجحت هذه الدولة في فتح موسكو ، لكنها ضعفت بعد ذلك إلى أن سيطر عليها الروس ودخلوا عاصمتها سنة ١٥٥٢ م (يعنى قبل سقوط غرناطة بأربعين سنة) . فكان مسلمو دولة قازان الذين يسمون الآن بتتار قازان هم أول ضحية للاستعمار الروسي الذي حاول تشتيتهم وتنصيرهم لعدة قرون . كما أن الروس أحرقوا المساجد وأخذوا الأموال واستعبدوا المسلمين .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

أوضاع المسلمين اليوم في الاتحاد السوفياتى

لقد عاش مسلمو الاتحاد السوفياتي قبيل الثورة الشيوعية نهضة إسلامية كبيرة كان مركزها على ضفاف نهر إتل في مدينتي قازان وأوفة . ولقد وعد الشيوعيون المسلمين بتحريرهم من الكنيسة الأورثذكسية قبل ثورتهم ، وذلك طمعا في مساندتهم . وعندما اكتشف المسلمون غدر الشيوعيين بعد ثورتهم ثاروا ضدهم في طول البلاد وعرضها في بشكيريا وفي القرم تحت زعامة الإمام الشلبي ، وفي بخارى تحت زعامة الأمير سعيد عالم . وأدت تلك الثورات إلى مذابح ذهب ضحيتها مئات الآلاف من المسلمين ، كما أدت السياسة التي اتبعتها الحكومة ضد الرُّحل في كازاخستان إلى مجاعة ذهب ضحيتها مليون مسلم كازاخى .

ولقد أصبح المسلمون ضحية أكبر اضطهاد في تاريخهم إبان الحكم الستاليني الذي عمل على القضاء على جميع المؤسسات الإسلامية ، وإضعاف شوكة علماء المسلمين وقتل وتهجير ملايين منهم لأتفه الأسباب . وقد تابع النظام السوفياتي أيام خروتشوف سياسة الاستهزاء بالإسلام والدعاية ضده بين الشعوب الإسلامية والعمل على مسحه نهائيا من الحياة الخاصة بعد أن مُسح أيام ستالين من الحياة العامة ، وبعض الأرقام تُعطى فكرة عن المجهود الذي قامت به الدولة في الاتحاد السوفياتي لمسح الإسلام من البلاد والقضاء عليه . فقد كان يوجد في الإمبراطورية الروسية قبل الثورة الشيوعية ٢٦ ألف مسجد ، لم يبق منها اليوم سوى ٤٥٠ مسجد ، من هذا المجموع ١٥٠ مسجدا في آسيا الوسطى ، و ٢٠٠ مسجد في المنطقة الأوروبية في الاتحاد السوفياتي ، و ٦١ مسجدا في آذربيجان وشمال القفقاز . أما المدارس الإسلامية التي كانت تعد بالمئات قبل ثورة ١٩١٧ م فلم يبق منها اليوم سوى مدرستين ، وعملت الدولة على تجزئة الأمة الإسلامية وتقطيع أصولها ، إذ عملت على الاعتراف بكل لهجة من اللهجات كلغة خاصة ، وقامت بتجزئة أوصال المسلمين الأتراك الذين يكونون أكثرية مسلمي الاتحاد السوفياتي إلى عشرات القوميات ، وقامت الدولة بحرب متواصلة ضد اللغة العربية وتعليمها ، وضد الحرف العربي بصفة خاصة . فكتبت كل لغات الشعوب الإسلامية بالحروف الروسية . وقامت الدولة بمجهود ضخم وبكل

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الوسائل الممكنة للدعاية ضد الإسلام وعقائده والاستهزاء بمقدساته حتى تبعد المسلمين عنه ، كما عملت على مسح جميع مظاهره في الشؤون الخاصة والعامة .

ولقد جزأت الدولة التنظيم الإسلامي في الاتحاد السوفياتي إلى أربع إدارات ، وهي : الإدارة الإسلامية الدينية لروسيا ومركزها قازان ، وإدارة القفقاز ومركزها باكو ، وإدارة شمال القفقاز ومركزها محج قلعة عاصمة داغستان ، وإدارة آسيا الوسطى ومركزها طشقند .

ولقد نجح المسلمون في مقاومة هذا الضغط والحفاظ على شخصيتهم رغم المكائد التي هم ضحيتها ، وهم الآن ينظرون إلى المستقبل بأمل كبير في الرجوع إلى شخصيتهم الإسلامية والتأثير في بلدهم بنسبة تستحقها نسبتهم المئوية من بين السكان ، وجدير بالذكر هنا أن مجموع مساحة الأراضى الإسلامية داخل الاتحاد السوفياتي تزيد عن خمسة ملايين كيلومتر مربع ، أي ما يعادل ثلثي العالم العربي وربع مساحة الاتحاد السوفياتي .

مأساة مسلمي القـرم

من بين جميع الشعوب الإسلامية في الاتحاد السوفياتي كان مسلمو القرم أكبر ضحية للطغيان الروسي قبل الثورة الشيوعية وبعدها ، فالقرم كانت مركز دولة إسلامية عظيمة أسست في القرن التاسع الهجرى وضمت معظم الأراضى التي توجد شمال البحر الأسود والتي تسمى اليوم أكرانيا . وكانت لها حدود مع الدولة العثمانية والإمبراطورية الروسية والإمبراطورية البولونية . وأخذ الروس يسيطرون على مقاطعات الدولة الواحدة تلو الأخرى في القرن الحادى عشر الهجرى إلى أن احتلوا عاصمتها باغجة سراي سنة ١٧٨٣ م . وكان سكان شبه جزيرة القرم المسلمون حينذاك مليون نسمة ، فعمل الروس على تهجير المسلمين بالقوة وقتلهم وانتهاك حرماتهم والإتيان بالروس لإسكانهم محلهم . فهاجر عدد كبير من تتار القرم المسلمين إلى الدولة العثمانية ، ولم يبق منهم في شبه جزيرة القرم سوى نصف مليون مسلم . واتبعت روسيا سياسة استعمار الأراضي الإسلامية من طرف المهاجرين الروس . وكانت حرب القرم من سنة ١٨٥٤ م إلى سنة ١٨٥٦ م التي قامت بين روسيا من جهة والدولة العثمانية وبريطانيا وفرنسا من جهة أخرى كارثة

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

وكانت الضحية الثانية للتوسع الروسي دولة خان القرم التي كانت من أعظم الدول الإسلامية والتي كانت تضم معظم منطقة أُكرانيا اليوم . فدخل الروس عاصمتها (باغجة سراى) سنة ١٧٨٣ م وقتلوا أهلها وشتوهم وتابعوا سياسة إفنائهم حتى هجَّر ستالين البقية الباقية منهم بعد الحرب العالمية الثانية إلى وسط آسيا بعد أن أفنى نصفهم دون ذنب اقترفوه .

ثم أخذ الروس يحتلون الدول الإسلامية في القفقاز وآسيا الوسطى في القرن الثامن عشر الميلادى والقرن التاسع عشر الميلادى . ومن أهم أوآخر الدول الإسلامية التي سيطر عليها الروس دولة خيوة ودولة بخارى . وبقيت هاتان الدولتان تحتفظان بشيء من الاستقلال الذاتي إلى أن طرد الشيوعيون سنة ١٩٢٠ م خان خيوة وأمير بخارى وضموا أراضيهم إلى الدولة الروسية .

وبهذا نرى أن الثورة الشيوعية التي قامت في شهر أكتوبر عام ١٩١٧ م للقضاء على الإمبراطورية الروسية ورثت منها الأراضى الإسلامية التي استعمرتها في أوروبا والقفقاز وآسيا الوسطى ، وأصبحت الشعوب المستضعفة ضحية للسياسة الروسية في تلك المنطقة . ولقد نظم الروس مناطق احتلالهم إلى جمهوريات اتحادية وجمهوريات ذات استقلال ذاتي ومناطق ذات استقلال ذاتي . ويوجد للشعوب الإسلامية اليوم ست جمهوريات اتحادية من مجموع ١٥ جمهورية التي تُكوِّن الاتحاد السوفياتي ، كما أن للمسلمين أحد عشر جمهورية ذات استقلال ذاتي وثلاث مناطق ذات استقلال ذاتي .

عدد المسلمين وأماكن تواجدهم

لا يوجد إحصاء في الاتحاد السوفياتي يحدد ديانة المواطنين . وكان آخر إحصاء في المناطق السوفياتية أُعطى فيه عدد المسلمين هو في سنة ١٨٩٧ م حيث وجد حينذاك أن في الإمبراطورية الروسية ١٦ مليون مسلم ، أي ما يعادل ١٢٪ من مجموع السكان . وحيث أن الشعوب الإسلامية معروفة ، يمكن استنتاج عدد المسلمين من الإحصائيات الرسمية للاتحاد السوفياتي التي تحدد قوميات المواطنين ، وبهذا نجد أن عدد المسلمين في الاتحاد السوفياتي ارتفع إلى ٢١ مليون مسلم سنة ١٩٣٩ م ، لكن نسبتهم نزلت إلى ١١٪ من مجموع السكان .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

ثم أخذ عددهم يرتفع بعد ذلك بالنسبة لباقي السكان إلى أن وصل إلى ٣٦ مليون مسلم سنة ١٩٧١ م أي ما يعادل ٦ر١٣٪ من مجموع السكان ، ولقد أخذت أعداد المسلمين تتزايد بصفة هائلة بالنسبة لباقي سكان الاتحاد السوفياتي في السنين الأخيرة ، وذلك لعدم تزايد غيرهم ، ولقد وصل تعداد المسلمين في إحصاء ١٩٧٩ م إلى ٤٤٩ر٠٠٠ر٤٥ مسلم ، وارتفعت نسبتهم إلى ٤ر١٧٪ من مجموع السكان الذين وصل عددهم إلى حوالي ٤٢٤ر٠٠٠ر٢٦١ نسمة . ويمكن تقدير عدد المسلمين سنة ١٤٠١ هـ بـ ٤٨ مليون مسلم أي حوالي ١ر١٨٪ من مجموع السكان .

يُكوِّن المسلمون أكثريات عددية في خمس جمهوريات اتحادية وهي : أوزبكستان ، وأذربيجان ، وتاجكستان ، وتركمنستان ، وكيرغيزيا . كما تناهز نسبتهم نصف سكان جمهورية كازاخستان . وقد كانوا يُكونون فيها أكثرية فيما مضى ، لكن الروس كاثروهم بهجرة غير المسلمين إلى مناطقهم . وأخذت نسبتهم اليوم في تلك الجمهورية تتزايد إلى أن قاربت نصف السكان بعد أن نزلت إلى حوالي ٤٠٪ من مجموعهم بعد الحرب العالمية الثانية . وبصفة عامة يمكن أن نقول ، إن ٤٢٪ من مجموع مسلمي الاتحاد السوفياتي ، أي ما يعادل حوالي عشرين مليون مسلم يعيشون في المناطق الأوروبية من الاتحاد السوفياتي ، بينما يعيش ٥٨٪ من مسلمي الاتحاد السوفياتي أي ٢٨ مليون مسلم في المناطق الآسيوية

وينقسم المسلمون في الاتحاد السوفياتي من الناحية العرقية إلى مجموعتين : المسلمون الأتراك وهم الأوزبك والتتار والكزخ والآذربيجانيون والكرغيزيون والتركمان والباشكير وغيرهم ، وهؤلاء يكونون ٨٥٪ من مجموع مسلمي الاتحاد السوفياتي ، أي حوالي ٤١ مليون مسلم . بينما ينتمي السبعة ملايين مسلم الآخرون إلى شعوب غير تركية وهم : التاجيك والداغستانيون والشركس والشيشين وغيرهم .

أما من الناحية المذهبية فإن ٩٠٪ أي ٤٣ مليون مسلم هم من أهل السنة والجماعة ، معظمهم على مذهب الإمام أبي حنيفة ، والقليل منهم على المذهب الشافعي . أما العشرة في المائة الباقون ، أي حوالي خمسة ملايين مسلم ، فهم شيعة إمامية ، إلا قلة قليلة في جبال بامير فهم إسماعيليون نزاريون .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية